

عيد الاحسان

للساعر محمود حسن اسماعيل

درجت الجمعية الخيرية الإسلامية على إقامة مهرجان سنوى لتستعين بإيراده على
بعض ما تقوم به الجمعية من شئون البر ؛ وتشترك في هذا المهرجان مختلف الطوائف
وقد كان الخميس ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٣٧ هو يوم المهرجان في هذه السنة ،
وقد تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك الصالح فاروق الأول بتشريف حفلة الجمعية
التي أقامتها مساء ذلك اليوم بدار الأوبرا الملكية ؛ رعاية لهذه الجمعية ، وعطفاً على
أغراضها النبيلة ؛ وقد كان لأحد أبناء دار العلوم — وهو الشاعر محمود حسن
إسماعيل — شرف الشول بين يدي جلالته في تلك الليلة ، ليلقي قصيدة من شعره
في تحية جلالته ؛ وقد تفضل جلالة الملك المعظم فاستمع إليه ، وشجعه بكلمات
طيبة وعطف كريم . وهذه قصيدته :

نُورَان : نورُ هُدًى ونورُ تبسُّمٍ	سَطَعَا ، فراح الشَّعْرُ يَسْطَعُ من فمى
فَهْتَفْتُ : يا دنيا الملائكِ طهَّرى	وَرَى ، وَمِنْ آيَاتِ وَحْيِكَ أَلْهِمى
هَاتى لى النِّعَمَ الجَدِيدَ ، بغيرِهِ	ما اهْتَزَّ للشَّعْرَاءِ سَمْعُ الأَنْجَمِ
هَاتى فَإِنَّ بِمَرْشِ مِصرَ مُمَلِّكاً	تَاجُ العُصُورِ بِمِثْلِهِ لم يَنْعَمُ
أَوْفَى فَرُحْتُ إلى الحَمَائِلِ هَاتِفاً :	هَاتى الشَّدَا من زَهْرِكَ المُتَبَسِّمِ
فُضِّى لِحَوْنِ الطَّيْرِ من لَهَوَاتِها	وُسْرى أَغَانِيهَا تَرِبَتْ بِمِرْقَمى
ودَعى الصَّبَاحَ ونورَهُ ، ودَعى الضَّحى	وعَبِيرَهُ يَنْسَابُ طَهْراً فى دى
إِنِّى سَأَهْتَفُ لِلْمَلِكِ بِآيَةٍ	بِضَاءِ مِثْلِ جَبِينِهِ المُتَوَسِّمِ
مولاى ! فَاهْتَزَّ الوجودُ مَهْلاً	طَرَباً ، وَإِنْ لم يَشْدُ أو يَتَكَلَّمِ
من رام تَغْرِيداً بِظِلِّكَ فليكن	لِبَلابِلِ الخُلْدِ السَّوَاجِعِ يَنْتَمى

اللهُ أَكْبَرُ ! مَا لَمْ يَكْ هِرَّةٌ بِسَوَى حَمَامِ الْجَنَّةِ الْمُرْتَمِ !

« فاروق » جُكَّ في القلوب عقيدة
قَسَمَتْ مع الإيمان قُدْسَ مكانه
الشرقُ يقرأ في جبينك آية
النَّيْلُ فَسَرَّهَا لَهُ مُتَخَايلاً :
فيها عَزَاهُ الشَّرْقِ عن آلامه
اللهُ سَطَّرَهَا لِتَارِيخِ الْحَمَى
أَخَذَتْ سُرَاهَا في القلوبِ مع الدَّمِ
في الروح ، وهو لغيرها لم يُقَسِّمِ
فَجَرُّ الرِّبْعِ بنورها لم يُوسِّمِ
هَذِي مَنَارَةٌ كُلُّ قَلْبٍ مُظْلِمِ
وَمُنَاهُ بَعْدَ أَسَى وَطُولِ تَجَنُّسِ
بُشْرَى وَثُوبٍ لِلْعَلَا وَتَقَدُّمِ !

يَا عَاهِلَ الْإِسْلَامِ كَرَّمْ عَصْرَهُ
أَلْقَتْ إِلَيْكَ يَدُ الْخَنيفِ زِمَامَهَا
وَبَعَثَتْ عَهْدَ الرَّاشِدِينَ بِصَوْلَةٍ
فَرَعِيَتْ عَنْ الصَّوْجَانِ وَمَجْدِهِ
وَحَمَلَتْ مَسْبَحَةَ كَأَنَّ مَدَارَهَا
حَبَّاتُهَا فَلَذُ القلوبِ خَوَاشِمَا
نَسَقَ من الْمُلْكِ انْقَرَضَتْ بَعِزُّهُ
وَأَنزَ بِهِ حَلَّكَ الوجودِ الْمُعْتَمِ
فَأَقْلَتْ عَثْرَتَهَا ، وَقَلَتْ لَهَا اسْلُمِي !
شَرَعُ السَّاءِ بِهَا حَدِيدُ الْمُعْصَمِ
وَحَظَرَتْ في وَرَعِ النَّبِيِّ الْمَلِيَمِ
فَلَقَّ الْهَدَى لِلْحَائِرِ الْمُتَبَرِّمِ
عَطَّلِينَ بِاللَّيْلِ آمَالَ الْقَمِ
لِسَوَاكِ فِي التَّارِيخِ لَمْ يَتَقَدَّمِ

في دَوْلَةِ الْإِحْسَانِ قَامَتْ عُصْبَةٌ
تَأْسُو إِذَا جَرَحَ الزَّمَانُ ، وَتَنْبَرِي
كَمْ تَأْكُلِي رَدَّتْ فَوَاجِعَ قَلْبِهَا
سِتَارَةُ الْأَعْرَاضِ يَغْمُرُ جُودَهَا
لِلْخَيْرِ فِي جَنَابَاتِ عَرَشِكَ تَحْتَمِي
قَدْرًا يُكَفِّكَ دَمْعَةَ الْمُتَيْمِّمِ
نِعْمًا ، وَأُسْبَغَتْ النِّعَمِ لِأَيِّمِ
لَيْلَ الْحَرَائِرِ فِي بَيَاضِ الْأَنْعَمِ

وَتَرَاهَا لِلْمُعْوزِينَ غَرَائِيسَ — لِقَمَاتٍ ، تَشِيرُ فِي خَرِيفِ الْمَعْدَمِ !
 تُعْطِي وَلَا مَنْ يَشُوبُ عَطَاءَهَا — وَتَجُودُ جُودَ الْعَدْلِ لِلْمَنْظَمِ
 مِنْ تَدَبُّ إِلَى النُّفُوسِ خَفِيَّةً — يَجْرِي بِهَا قَدَرُ الْإِلَهِ الْمَنْمِ
 فَكَانَهَا الْأَحْلَامُ تَهْبِطُ فِي الدَّجَى — لِلْبَائِسِينَ بِخَشْمَةٍ وَتَحَرِّمِ
 شَرَفُ الْعَطَايَا أَنْ تَزُفَ وَحِيدَةً — كَالسَّرِّ بَيْنَ تَخَفُّرٍ وَتَحَشُّمِ !
 هِيَ كَعْبَةٌ — لِلْبُؤْسِ مِنْ إِحْسَانِهَا — بِشَرِّ النَّبَاتِ بِغَيْثِهِ الْمُرَحِمِ
 لِلْعِلْمِ فِي أَكْنَافِهَا رِيَّ النَّهْيِ — وَلَشَكْوَةِ الْعِلَالِ بُرْهَ الْمُسْتَقِيمِ
 مَوْلَايَ أَسْعِدْهَا بِنُورِكَ إِنِّهَا — بِهَذَاكَ تَقَرَّعُ سَابِحَاتِ الْأَنْجَمِ
 هَمِّ سَبَقِنَ خَطَى الزَّمَانِ بِعِزْمَةٍ — أَوْ قَدَّتْهَا سَبَقَ الْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ
 هَتَفَتْ بِكَ الدُّنْيَا فَرَدَّ هُتَافَهَا — شَعْبٌ يُفَدِّي بِالْقُلُوبِ وَالْدَّمِ !

محمود حسن اسماعيل